Diyala Journal
for Human Research
Website:
djhr.uodiyala.edu.iq

مجلة ديالى
للبحوث الإنسانية

p ISSN: 2663-7405
e ISSN: 2789-6838

العدد (٩٨) المجلد (١) كانون الأول ٢٠٢٣

مجلة ديالى للبحوث الانسانية

جمالية المؤثرات الدينية في إبداع شعراء المجون*

م.م. بري فاضل خضر
وزارة التربية

أ.د. نوزاد شكر إسماعيل
جامعة صلاح الدين- أربيل/ كلية اللغات/ قسم اللغة العربية

Email:alhamdanilov@gmail.com

Published:1-12-2023

Keywords: المؤثرات الدينية، الإبداع الجمالي، شعراء المجون

Abstract

This study deals with the aesthetic religious influences in the creativity of immoral poets in the first Abbasid era. The two researchers studied these religious influences in the creativity of a group of immoral poets in the Abbasid era, such as Bashar ibn Burd, Hammad Ajrad, Muti` ibn Iyas, Walba ibn al-Habbab, and Abu Nawas. The study required a statement Religious influence has two aspects: the positive aspect and the negative aspect. They are preceded by an introduction to the concept of religious influences and a conclusion with the most prominent results. We hope that this study will be a new addition to the studies conducted on Abbasid poetry and promiscuous poets. And God is the Granter of success.

هذه مقالة وصول مفتوح بموجب ترخيص
CC BY 4.0
(http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/)

الملخص:

تتناول هذه الدراسة جمالية المؤثرات الدينية في إبداع شعراء المجون في العصر العباسي الأول، وقد درس الباحثان دور المؤثرات الدينية في الإبداع الشعري عند ثلّة من شعراء المجون، أمثال بشار بن بُرد وحماد عجرد ومطيع بن إياس ووالبة بن الحباب وأبو نواس، واقتضت الدراسة بيان التأثير الديني في جانبين: أولهما هو التأثير الجمالي للقرآن الكريم في الشعر عبر أسلوبه ونظمه، والجانب الثاني وجود الحرية الدينية وتعددية المذاهب والمعتقدات الدينية ودورها في إبداع شعراء المجون، وينتهي البحث بخاتمة بأبرز النتائج، آملين أن تكون هذه الدراسة إضافة جديدة إلى الدراسات المعقودة عن الشعر العباسي وعن شعراء المجون، والله ولي التوفيق.

المقدمة:

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

تنبع جمالية الشعر من نفسية الشاعر المتأثرة بما هو موجود في بيئته، فالشاعر يدرك المؤثرات الخارجية إدراكاً مختلفاً وغريباً عن الآخرين، فهو يحول المؤثرات الجمالية في عمق شعوره إلى أشياء مشبعة بالحياة، والمؤثرات هي كل ما تحيط بالشاعر من معطيات العصر القادرة على جذب الشعراء، والتي تتولد منه الأفكار والعواطف التي يتبناها الشاعر بعواطفه وأفكاره الشعورية الخاصة.

وقد إلتجأ الشعراء إلى القرآن الكريم يستمدون من جمالياته والنسج على منواله، إذ كان للقرآن أبلغ الأثر في نمو الأذواق وتطورها في هذا العصر، فاستلهم شعراء المجون من السحر القرآني جماليات خاصة متمثلة في تناسق تراكيبه وألفاظه؛ واستيفاء نظمه لشروط الفصاحة والبلاغة، وما فيه من تصوير بارع ومنطق ساحر، وأخذ أسماعهم بما فيه من إيقاع جميل وموسيقى داخلية، تتناسب مع الموقف النفسي والحركي لمعانيه، ولا بد من تأثير ذلك على أسلوب الأدب عامةً وأسلوب الشعر المولد الذي عُرف به شعراء المجون خاصة، فالأسلوبهم جديد أُستحدث من الاسلوب القرآني وثقافات الشعوب التي دخلت الحاضرة الإسلامية كالفرس واليونان والهنود وغيرهم، ومن هنا استمد البحث عنوانه من (جمالية المؤثرات الدينية في إبداع شعراء المجون).

وقد اقتضت طبيعة البحث أن يكون في مبحثين مسبوقين بمقدمة ومنتهيين بخاتمة، تناول المبحث الأول، التأثير الجمالي للقرآن الكريم في الشعر، أما المبحث الثاني فجاء بعنوان؛ أثر الأفكار المنحرفة في شعر المجون، ثم جاءت الخاتمة لتلخص أبرز النتائج التي توصل إليها البحث.

وقد اعتمد الباحثان على مجموعة من المراجع والمصادر التي أشارا إليها في قائمة المراجع والمصادر متمنيان أن تكون هذه الدراسة إضافة جديدة إلى الدراسات المعقودة عن شعر المجون وشعرائه.

وآخر دعوانا أن الحمدلله رب العالمين.

جمالية المؤثرات الدينية في إبداع شعراء المجون

تكمن دور المؤثرات الدينية في جمالية الشعر العباسي عند شعراء المجون في مبحثين:

المبحث الأول

التأثير الجمالي للقرآن الكريم

وهو التأثير الجمالي للقرآن الكريم في الشعر من خلال أسلوبه الذي كان ذخيرة الشعراء في إستلهام صوره وتراكيبه، وأن الدراسات القرآنية وضعت أسساً نقدية جديدة لدراسة النص، بل ابتكرت علماً جديداً للجمال؛ ممهدة بظهور شعرية عربية جديدة في العصر العباسي، نتيجة لظهور معايير جديدة لكتابة القصيدة الشعرية مع كل من بشار بن برد وأبي نواس وغيرهم في ابتكار اللغة الشعرية الكتابية، حيث أوصلا اللغة إلى أوج فني لا سابق له، ففي شعرهم البداية الأكثر غنى وشمولاً وتنوعاً للحداثة الشعرية، فهو مقاربة معرفية للأشياء والعالم والإنسان بحساسية جديدة وجمالية جديدة[١]، نابعة من أسلوب القرآن وطريقة نظمه الذي ألهم الشعراء للإبداع ومنهم أبو نواس حيث يقول في غلام سامريّ (من المجتث)[٢]:

سُبْحَانَ مَنْ خَلَقَ الخلْـ ـقَ مِنْ ضَعِيفٍ مَهِينِ

يَسُوقُه مِنْ قَرَارٍ إلى قَرَارٍ مَكِينِ

في الحجْبِ شَيْئاً فَشَيْئاً يَحُورُ دُونَ العُيُونِ

حَتَى بَدَتْ حَرَكَاتٌ مَخْلُوقَةٌ مِنْ سَكُونِ

هذه الجمالية أهتدى إليها الشاعر بتأثير آيات الذكر الحكيم، والتي خلقتها الروح الإسلامية الجديدة بتأثير من اللغويين والنحويين الذين هيئوا الأسباب للبحث المتشعب في ذلك، فكانوا أمزجة خاصة وذهنية خاصة في تاريخ النقد الأدبي[٣]، وكانت هي البداية لزهد أبي نواس.

وتأثير جمالية القرآن واضحة في أغلب قصائد شعراء المجون، منها في هذه القصيدة لحماد عجرد، التي يذكر فيها خروجه مع بعض الأمراء إلى فارس، حيث يقول (من مجزوء الرمل)[٤]:

رُبَّ يَـــوْمٍ بِـفَسَـاءٍ لَيسَ عِنْـدِي بِذَمِـيْمِ
قَدْ قَرَعْتُ العَيشَ فِيـهِ مَـعَ ندمـانٍ كَرِيـْـمِ
مِن بَنِي صِهيُونَ فِي البَيـ ـتِ الـمُعَلَّى وَالصَّمِيمِ
في جِنَانٍ بَـينَ أَنْـهَـا رٍ وَتَـعْـرِيـشِ كُـــرُوْمِ
نَتَعَـاطَى قَهـوَةً تُشـْـ خِصُ يَقْظَـانَ الهُمُـوْمِ
في إنَـــاءٍ كِسْـــرَوِيّ مُـسْتَخِـــفٍّ لِلحَـلِـيْـمِ
عِنْـدَنَا دِهقَـانَةٌ حُسـْ ـسَانَـةٌ ذَاتُ هَمِـيْـمِ

التأثير الديني واضح من حيث الأفكار والعواطف والأسلوب المولد الذي استمد من جمال السحر القرآني حيث الألفاظ والتراكيب، واستعارتها في سياق آخر مختلف تماما عما وضع له في أصل السياق القرآني حيث اللهو والمجون، فنجد ظاهرة الإقتباس القرآني سمة بارزة في بنيته الشعرية في قوله: (في جنـــانٍ بَـينَ أَنْـهـا رٍ وَتَـعـــريـشِ كُـــــروم)، وفي قوله: (عِنـدَنا دِهقـانَةٌ حُـ ـسانَـــةٌ ذاتُ هَميـــمِ)، وإضفاء صفات دينية على الندمان والجواري منها :كريم، رحيم، حليم، والتي أضفت رقة وعذوبة، والإشارة إلى ما كان منتشراً في المجتمع العباسي من التحرر الديني عند ذكره لندمائه من بني صهيون المنحدر من أصل عريق، والخمرة التي احتسوها واناءها الكسروي، والقينة الجميلة ذات الدل ومعابثته لها، في سياق سردي قصصي لطيف في ألفاظ خفيفة والوقع اللطيف والوزن الخفيف المجزوء، كل هذه من المؤثرات الحضارية والدينية رغم تجاوزها حدود العرف والدين، لكنها أضفت تنوعاً وجدةً وإبداعاً على القصيدة العباسية.

هذا التأثر كان من أحد أسباب التفنن والتجديد في أساليب القول، اعتماداً على براعة الشاعر ومقدرته الذهنية في الأقتباس من القرآن الكريم وتوظيفها بصورة مغايرة، وما أن نأتي صوب الأثر الإسلامي في قصيدة خمرية لمطيع بن إياس حتى نجد توظيف جمالي من السحر القرآني في قوله (من السريع)(٥):

كَمْ لَيـلَةٍ بِـالكَرخِ قَد بِتُّـهَـا جَذْلَانَ فِي بُسْتَانِ صَبَّاحِ
فِي مَجلِسٍ تَـنـفَحُ أَرْوَاحُـهُ يَا طِيبَـهَـا مِـنْ رِيـحِ أَرْواحِ
فِي فِتيَـةٍ بِيضٍ بِهالَيـلَ مَـا إنَّ لَهُمْ فِي النَاسِ مِنْ لَاحِ
لَمْ يَهنَني ذاكَ الفَقْـدِ اِمرِىءٍ أَبْـيَـضَ مِـثـلِ البَـدرِ وَضَّـاحِ
كَـأَنَّمـا يُـشْـرِقُ مِـنْ وَجهِـهِ إذا بَـدَا لِيْ ضَـوءُ مِـصْبَاحِ

جعل مطيع إقامته في هذا البستان مع صحبة من الفتيان من أهل الكرخ مُردٍ وشُبَان، ومغنين ومغنيات، تشبيهاً بالجنة التي يوعد بها المسلم ساخراً من جنة المسلم الموعودة، وهي فكرة مقتبس

من قوله تعالى:(وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَنْثُورًا)[٦]، وهو نفس ما ذهب إليه مطيع وهو مستمتع بغيه ويراه جنته، عندما يذكر الفتية البيض الذي يشرق وجوهم ضياءً ونوراً.

ومن الدوافع الجمالية في التضمين القرآني، هي المباراة والمنافسة بين الشعراء في تضمين الآيات القرآنية في نصوصهم الشعرية، فقد اجتمع أبو نواس ومسلم بن الوليد والخليع (الحسين بن الضحاك) وجماعة من الشعراء في مجلس، فقال بعضهم: أيكم يأتيني ببيت شعر فيه آية من القرآن وله حكمة؟ فأخذوا يفكرون فيه، فبادر أبو نواس فقال (من الرجز)[٧]:

وَفْتِيَةٍ فِي مَجْلِسٍ وجُوهَهُمْ رَيحَانُهُم قَدْ أَمَنُوا الثَّقِيْلَا

دَانِيَةٌ عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَذَلَّلَتْ قُطُوفَهَا تَذْلِيْلَا

فالتمثل القرآني كان واضحاً وجلياً في النص الشعري، وكان له دور في إثراء النصوص الشعرية وإضفاء جمالية خاصة تعود لثقافة العصر التي شبع منها شعراء المجون، وفي نفس الوقت تظهر الدلالات المختزنة في ذاكرة الشعراء وربطها بالدلالات الحالية المتجاوزة على النص القرآني، لكن لها دورها في التوسع الدلالي وتحقيق جمالية النص الشعري نظراً لجمالية المؤثرات التي أنبثقت منها، وفي نفس الوقت نجد التوظيفات الإسلامية مواطن دفء واطمئنان نفسي للمتلقي وجذب إنتباهه بوعي من الشعراء واحتيال ينم عن ذكاء الشعراء في جلب إهتمامه للحضارة العباسية الجديدة. فقد أراد أبو نواس "الإعتراف بالجديد في الأدب، والإعتراف بالجديد في الحياة العباسية"[٨].

مما تقدم نجد بأن تأثير القرآن الكريم في الشعر والنقد والبلاغة في العصر العباسي الأول كان تأثيراً عظيماً، يُضاف إلى ذلك دور الدراسات القرآنية في حركة الشعر العباسي وتطورها، فأكسبته رقة في الأسلوب وعمقاً في الرؤية الفنية والجمالية، وأتاحت للشعراء الاطلاع على ما في لغته من غنى بياني وطاقة فنية مطاوعة وقدرة على الأداء والتعبير والتصوير، فأصبح أسلوبه من المؤثرات الجمالية التي ألهمت القريحة الشعرية عند شعراء المجون وساعدتهم في الإنفعال بمواطن الجمال والسير على نهجه.

المبحث الثاني

أثر الأفكار المنحرفة في شعر شعراء المجون

بالرغم من تجذر الإسلام في حياة الناس، حتى أصبح القرآن الكريم المصدر الثر للأحكام الحياتية والدينية لعامة الناس، لكن حاول الكثير من الأدباء والشعراء والمفكرين من غير العرب حرف مسيرته بإدخال الأفكار المانوية والمزدكية والأفلاطونية في تعاليم الدين الإسلامي خدمةً لأغراضهم الدنيوية.

فالحضارة الاسلامية فتحت صدرها للتعددية في الأفكار والآراء، والنحل والمذاهب وسعة الأفق، والحوار الدائم بين الأفكار والثقافات، حضارة كهذة لا بد أن ترنو دائماً إلى التجديد والتطور إلى ما هو أجمل وأفضل[٩]، وهذا الذي دفع بالشعراء لبحث عن الجديد والأجمل، في ظل هذا الترحيب بالتعدد الثقافي المستمر للأديب المسلم، الذي وجد الترحيب بهذا الطابع التعددي والتسامح في مجالس الخلفاء، وحلقات العلم، والمناقشات الأدبية في المساجد التي كانت تُدار فيها المناضرات الأدبية والعلمية.

والمساجد لم تكن تقتصر على العبادة فحسب، ولا على عقد الحلقات العلمية فيها، وإنما كانت بعضها مسرحاً للهو والعبث، يجتمع فيه الظرفاء ويتماجنون، ويترصد اللاهون فيها للشباب الصغير، ويروى أن محمد بن مناذر أراد أن يوقع أبا نواس في حبائله ذات يوم وهو في المسجد يصلي[١٠]، فالتعدد الثقافي والتسامح الديني جعل من ضعاف النفوس يترصد لهذا النوع من التماجن، ولابد أن آثر ذلك في نفس الصبي.

وبالرغم من مساوئ بعض المساجد في بث الأفكار الدخيلة على الفكر الإسلامي وما يحدث فيها من التماجن، لكن في نفس الوقت كانت لها دور إيجابي من الناحية الجمالية، وذلك من خلال ما آل إليه علم الكلام من إزدهار بان تأثيره في الشعر، ويراد بالكلام الجدل الديني في الأصول العقيدية عند جميع الملل والنحل بما فيها الإسلام، وكل يتسلح في دفاعه بالفلسفة اليونانية وما يتصل بها من منطق وغير منطق وكان من أهم فرق المتكلمين في هذا العصر فرقة المعتزلة الذين نصبوا أنفسهم للدفاع عن عقيدة الإيمان الإسلامية أمام المرجئة والمجبرة والشيعة والنصارى واليهود والدهريين الماديين والمانويين الثَّنويين[١١]. الذين اختلفوا الرأي في كفر أصحاب الكبائر أو أن الكبيرة لا تضر مع الإيمان[١٢]، هو الذي ساعد شعراء المجون في أخذ الخطوة نحو إرتكاب المعاصي التي لا تضر مع الإيمان، والذي تساهل فيه بعض الفرق والمذاهب الدينية التي أعتنقوها.

إن هذه الحرية التي ميزت الحياة الفكرية والتي كانت سمة من سمات العصر، هي التي ساعدت في ظهور الإتجاهات الفكرية والسياسية مثل الزندقة والشعوبية وغيرها من الإتجاهات التي كانت لها تأثير في الحياة الأدبية، وكان لها الدور في إبراز شعر المجون كظاهرة خاصة بالشعر العباسي، حتى أصبح الخمر والغزل بالغلمان والجواري مسائل عمّ بها البلاد دون حسيب أو رقيب.

وشاء أن يكون أغلب من توجه نحو الظرف والمجون هم طبقة الموالي، بعدما ظلوا يعانون من احتقار العرب وازدرائهم لهم، بالإضافة إلى تفاوت أحوال المعيشة بين الغنى والفقر المدقع بين الطبقات والشعوب التي شكّلت المجتمع العباسي الخليط[١٣]، التي لم تسلم من براثن الحقد والعنصرية، وظهر ذلك جلياً في معاملة العرب لهم وفي نظرتهم الاجتماعية إليهم، وفي التقليل من شأنهم والاستهانة بحقوقهم، وهو الذي دفع بهم دفعاً نحو نزعة الشعوبية والزندقة والتي تشمل كل إلحاد بالدين وكل مجاهرة بالفسق والإثم[١٤]، فالمشهد العباسي الديني، أصبح باعثاً من بواعث التحدي لدى شعراء المجون في الإبداع الجمالي، لما شهده المشهد الديني من تناقضات، فالكوفة كانت تجمع بين اللهو والمجون والزهد الشديد، وأول ما ظهر المجون كانت في الكوفة لكونها نشأت بجوار الديانتين اليهودية والنصرانية، بالإضافة إلى عقاشئد السكان الأصليين من مانوية وزرداشتيه

ومزدكية، وإلى جانب ذلك هي وريثة الحيرة التي كانت عامرة بالحانات والأديرة وفنون اللهو والعبث وتيار الإباحية التي تحلل الملذات وتتحلل من قيود الأخلاق والدين، وانعكس كل ذلك في الشعر الذي كان تعبيراً عن مذهبهم في العبث واللذة الحسية من أي طريق كانت(١٥). وانعكس هذا في شعر كل من مطيع بن إياس وحماد عجرد ووالبة بن الحُباب بحكم نشأتهم في الكوفة، أما البصرة فكانت حاضرة عظيمة من حواضر اللهو، تعجّ بالملاهي وأسباب اللذة وموجبات الفتن والغوايات، وبلغ ذلك أن خلفاء بني العباس حين فكروا في التحرز لملكهم من أطماع الأمراء الهاشمين من أهل بيتهم، لم يجدوا غير البصرة يخصصونها بالرواتب الجزيلة ويشغلوهم بالقصف والمتعة عن الشره إلى الخلافة والسلطة(١٦). فأثر ذلك في كل من بشار بن برد وأبي نواس بحكم نشأتهما في البصرة، وأصبحت بغداد بعد ذلك حاضنة لكل هذه الأفكار والتناقضات بعد قدوم الشعراء إليها لتكسب بالشعر، هذا الجو خلق أرقى أنواع التوتر اللازم لولادة النص الشعري الإبداعي والذي لجأ الشاعر فيه إلى المؤثر الديني يستمد منه ليتحدى به الآخر، من ذلك نهي بشار عن بكاء الطلول وتعليل ذلك بحجة دينية إسلامية، وذلك في قوله(١٧):

كَيْفَ يَبْكِي لِمحْبَسٍ في طُلُولِ مَنْ سَيُفضِي لِحَبْسِ يَومِ طَوِيْلِ

إنَّ في الحَشْرِ وَالحِسَابِ لَشُغْلاً عَـنْ وُقُـوفٍ بِكُلِ رَسْـمٍ مُحِيـلِ

وكأنه يريد أن يقول إن ما يطرحه الدين الإسلامي من قضايا تتعلق بحياة الإنسان في العالم الآخر، ما يستحق أن يشغل الشاعر نفسه به أما ذلك التقليد العربي في الوقوف على الطلل فلا مكان له في ظل الحياة الدينية الجديدة(١٨). وبذلك استطاع شعراء المجون توظيف المؤثر الديني خدمةً لأغراضهم الشعرية، والذي ضمن لهم الجدة والإبداع والجمال الأدبي في آن واحد.

والحياة العباسية الجديدة هي التي هيأت الطريق لشعراء المجون في التجاوز والسخرية على الفرائض الدينية وهم في جموح السُكر والطرب، من ذلك قول والبة بن حُباب حينما كان يشرب ذات يوم مع أصحابه، فأنشد يقول (من الوافر)(١٩):

جعلتُ الحجَّ فِي غُمَّى وبِنَّا وفي قُطْرُبُّلٍ أَبَـدَاً رِبَـاطِي

فَقُلْ للخَمْسِ آخِرُ مُلتَقَـــانَا إِذَا مَا كَانَ ذَاكَ عَلَى الصِرَاطِ

أشار والبة بن الحباب إلى الفرائض من الصلوات الخمس والحج، وخرقه لتلك العبادات بحضور الخمر، حيث عزم الحج في القرى المشهورة بالخمر في نواحي بغداد ومن ثم تركه للصلوات الخمس بسبب السكر والمجون، فتطرق إلى معنى جديد بأسلوب جديد فيه سخرية للفرائض الدينية للمسلم.

ومن جماليات التأثير القرآني أيضاً ذلك التضمين الذي ينم عن إحتيال وعبقرية من الشاعر، فيما ذهب إليه أبو نواس في قوله (من البسيط)(٢٠):

مَـا لِي وَلِلنَاسِ كَمْ يَلحَونَنِي سَفَهَـاً ديني لِنَفـسي وَدينُ النَـاسِ لِلنَّـاسِ
مَـا لِلعُـدَاةِ إِذَا مَـا زُرْتُ مَـالِـكَتي كَأَنَّ أَوجُهَهُمْ تُطْـلَـــى بِأَنْفَـــاسِ
اللهُ يَعلَـمُ مَـا تَـرْكِي زِيـارَتَكُـمْ إِلَّا مَخَـــافَةَ أَعْدَائِـــي وَحُـــرَّاسِي
وَلَوْ قَدِرْنَـا عَلَى الإِتْيَـانِ جِئتُكُـمُ سَعياً عَلى الوَجهِ أَو مَشياً عَلى الرَّاسِ
وَقَد قَـرَأتُ كِتَـابـاً مِنْ صَحَـائِفِكُم لا يَرحَـمُ اللهُ إِلّا رَاحِـمَ النَّـاسِ

الحرية التي ميزت الحياة الدينية والفكرية الجديدة جعلت من أبي نواس يصـرح بمجونه دون خوف أو وجل، ليثبت أن دينه لنفسه وله كامل الحرية فيما يفعل، وفي ذلك نوع من الذكاء وهو يجادل في الرد على معاديه، من خلال تضمين معاني القرآن الكريم وألفاظه التي كان على دراية وعلم بها، فقد "كان أبو نواس فقيهاً عارفا بالأحكامِ والفتيا، بصـيراً بالاختلاف، صـاحب حفظٍ ونظرٍ ومعرفةٍ بطرق الحديث، يعرف محكم القرآن ومتشابهه، وناسخه ومنسوخه"[٢١]، فوجد الشاعر في التعبير الإسلامي ضالته المنشودة في أسلوب الجدل، وهو الطابع المتميز في الجدل القرآني، فقد استخدم الشاعر مفهوم الرحمة من العرف الديني وإدراجه في منزلة الغزل لينال به ترحم الحبيب.

هذا التوظيف فيه نوع من الجرأة الأدبية التي أجاز فيه الشاعر العباسي لنفسه الاقتباس من آيات الذكر الحكيم وتضمينها في قصائده الماجنة، وفي نفس الوقت يبين القدرة الذهنية في خلق علاقات جديدة من محتويات العقل الباطن، ونوع من التجديد الذي قبِله المجتمع العباسي المتحرر من بعض الشعائر الدينية، والذي أوضّحه أبو نواس في قوله (من مجزوء الكامل)[٢٢]:

يَا نَـاظِـرَاً فِي الدِيـنِ مَـا الأَمْـرُ لَا قَـدَرٌ صَـحُ وَلَا جَبْـرُ
مَا صَحَ عِنْدِي مِن جَمِيعِ الَذِي يُذكَرُ إلا الـمَوْتُ وَالْـقَبْـــرُ
فَاشـرَبْ عَلَى الدَّهْـرِ وَأيـَامِـهِ فَإِنَّمَـا يَهْـلُكُـنَـا الدَّهْـــرُ

نجد تحدي واضح لدعائم الدين الأسلامي نتجت عن تصوّرات فلسفية مخالفة لما جاءت به الديانات ومناقضة لتعاليم ولتفسير الفلسفة الاسلامية لها، وقد أخذ أبو نواس من الدين فكرة الموت والفناء ليدعم به معتقده في الحياة وهي الخلاص من فكرة هلاك الدهر للإنسان باللجوء إلى عالم الخمر والسكر والنسيان، والشاعر بهذا وظّف المؤثر الديني سلباً ليدعم مبتغاه في الحياة، وهذا واضح كل الوضوح في أغلب الأشعار العباسية، التي أصبحت سمة بارزة لأساليب شعرائه، فكانوا "يتصنعون الشك وعدم المبالاة حين يريدون أن يسهلوا على أنفسهم الخضوع لإغراء لذة وقتية يعلمون أنها آثمة"[٢٣]، ومرد ذلك إلى إنفعال الذي غلب عليهم في عصر ساد فيه النفاق في الدين حتى من كبار رجال الدولة الإسلامية[٢٤]، فكان العصر عصر نفاق ورياء بفعل المؤثرات الكثيرة للعصر والبيئة المتأججة بالأحداث والتغييرات، فمن تناقضات العصر؛ تعرض حماد عجرد لصديقه يحيى بن زياد بعد تورعه ونزوعه عما كان عليه، وهجره لحماد وأشباهه وتركه حياة اللهو والمجون، وتعرضه لحماد ومجونه وتهتكه، فيقول حماد في ذلك (من مجزوء الكامل)[٢٥]:

هَل تَذكُرَن دَلـجي إلَيـ ك عَلى المُضَمّرَةِ القِلاصِ
أَيّـامَ تُـعْـطِيْـنِي وَتَـأ خُذُ مِنْ أَبَارِيْقِ الرَّصَاصِ
إنْ كَانَ نَسْكُكَ لَا يَتِمْ مُ بِغَيرِ شَتْمِي وَانتِقَاصِي
فَعَلَيْكَ فَاشِـتُمْ آمِـنَا كُلَّ الأَمَانِ مِنْ القِصَاصِ

لقد كان شعر المجون محصلة طبيعية للحياة العباسية وما سادها من اختلاف الشعوب والحضارات وانتشار الملل والنحل ونقل الثقافات المختلفة إلى اللسان العربي وما أتيح للناس من حرية في التفكير والجدل(٢٦)، فنجد التنوع الحضاري والثقافي والديني هو الذي جعل من حماد عجرد وصديقه يحيى بن زياد يختلفان، وهذه كانت سمة الحياة الجديدة التي أثرت في القصيدة العباسية، وجعلتها تأتي بالجديد في المجون مغايراً لما موجود سابقاً؛ ليناسب الواقع المتغير من حياة الترف واللهو لأسباب منها السياسية والاجتماعية.

والحضارة الجديدة هي التي هيأت الطريق في تمثيل حياة الترف وما فيها، فنجد ذلك ممثلاً عند مطيع بن إياس، في قوله (من المجتث)(٢٧):

فَـرُبَّ يَـومٍ قَـصِـيْرٍ فِيْ جَـوسَقٍ وَجِنَانِ
بِـالـرَاحِ فِيـهِ يُحَـيّـا وَالقَصْفِ وَالرَيْحَانِ
وَعِـنْـدَنَـا قَيْنَـتَـانِ وَجْـهُـاهُـمـا حَسَنَانِ
مَن عَاذِرِيْ مِنْ خَلِيلٍ مُـوَافِـقٍ مِـلْـدَانِ
مُـدَاهِـنٍ مُـتَـوانِ يُكنى أَبـا دَهْمَانِ
مَـتَى يَـعِدكَ لِقَـاءً فَـالنَجْـمُ وَالفَرْقَدَانِ

فهذه الأجواء الطربية متناصة مع نص القرآن الكريم، وما وعد به الرحمن عباده الصالحين في الجنة الموعودة، وكذلك في تناصه الأسلوبي والمضموني مع آيات الذكر الحكيم، من حيث الجنان والريحان والجوارى والغلمان والحُسن والنعيم والخمر والنجم والفرقدان، متناصة مع آيّات الذكر الحكيم من ذكر الجنة وما فيها من النعم المذكورة، وذلك في قوله تعالى: ((وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ، ...دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ... *مُدْهَامَّتَانِ *....* فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ * ....* حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ*))(٢٨)، فمن الجدير بالذكر أن هذه المفردات تعكس تأثراً واضحاً بالمفردة القرآنية، بل إن أكثر ما ذكرنا هو التناص مع القرآن وفد إلى القصيدة وأضاف إلى أبياتها بريقاً وجمالاً اعتمده الشاعر بوعي أو بدون وعي لتأثره بأسلوب القرآن الكريم.

أكتسب شعراء المجون الحرية بسب الثقافات الموجودة والتي كانت تعبيرا عن تثاقف مزدوج: خارجي عن طريق الترجمات اليونانية والفارسية والهندية؛ وداخلي، عن طريق الجدل الواسع

والعلني في كلّ الشـؤون الدينية والمذهبية، وهذا الذي دفع شـعراء المجون ومنهم بشـار بن برد في التعبير عما يجول في خاطره بحرية، وذلك في تفضـيله إبليس على آدم، وذلك في قوله (من الطويل)[٢٩]:

إبليسُ خَيرٌ مِن أَبيكُم آدَمٍ فَتَنَبَّهـوا يا مَعـشَرَ الفُجّارِ

إبليسُ مِن نارٍ وَآدَمُ طينَةٌ وَالأَرضُ لا تَسمو سُمُوَّ النَارِ

فالأنفتاح الحضارى والحرية والتعدد في المذاهب الدينية أوجد الجرأة عند بشار في تفضيل إبليس على آدم وإظهار زندقته الذي قُتل بسببه أو بسبب تعرضه للخليفة المهدي ووزيره بالهجاء[٣٠]، لكن الذي يهمنا هو التغير في الرؤى وبالتالي التنوع والتجديد فيما يقوله ويصدر عنه من الشعر الذي فيه مخالفة واضحة لتعاليم الدين الإسلامي، والذي وصل به الأمر أن يستهزئ بفرائضها، فكان يبيح لنفسه ترك الصلاة مع الجماعة، مدعياً أنه لا يُبصر ولا يُتقن أداءَها مع المصلين، إذ يقول (من المنسرح)[٣١]:

وَإِنَّني في الصَّلَاةِ أَحْضُرُهَا ضُحْكَةُ أَهْلِ الصَّلاةِ إِنْ شَهِدُوا

أَقْعُدُ في سَجْدَةٍ إِذَا رَكَعُوا وَأَرفَعُ الرَأسَ إِنْ هُمُ سَجَدُوا

أَسْجُدُ وَالقَومُ رَاكِعونَ مَعاً وَأُسْرِعُ الوَثْبَ إِنْ هُمُ قَعَدُوا

وَلَسْتُ أَدْرِي إِذَا إِمَامُهُمُ سَلَّمَ كَمْ كَانَ ذَلِكَ العَدَدُ

فما تطرق إليه الشاعر من أباحية ترك صلاة الجماعة وذكر ما يفعله المسلم في صلاته بصور حركية وهو لا يستطيع مجاراتهم في تلك الحركات ساخراً مما يفعلون، هي من المعاني الجديدة التي لم يتطرق إليه الشعراء قبلاً، فالشاعر جعل من عماه العائق له في عدم الألتزام بفرائض الدين الإسلامي.

وعلى الرغم من كثرة الانحرافات عن جادة الدين في شعر المجون كما نلحظ، إلا أن هناك جزءاً من شعرهم لم يخل من تصوير الجانب الخير في مجتمعهم، وذلك عند أبي نواس الذي يظهر فيه تحولاً عن حياة المجون نادما تائباً يسأل الله عز وجل العفو والمغفرة في آخر أيامه متضرعاً بنزعات الإيمان والتوبة والندم على ما فات خوفاً من المصير المحتوم للبشر[٣٢]، من ذلك نذكر قوله (من الرمل)[٣٣]:

يَا نُوَاسِيُّ تَوَقَّرْ وَتَجَمَّلْ وَتَصَبَّرْ
سَاءَكَ الدَّهْرُ بِشَيءٍ وَبِمَا سَرَّكَ أَكْثَرْ
يَا كَبِيرَ الذَّنْبِ عَفْوُ اللَّهِ مِن ذَنبِكَ أَكْبَرْ
لَيسَ لِلإِنسَانِ إِلّا مَا قَضَى اللَّهُ وَقَدَّرْ
لَيْسَ لِلمَخْلُوقِ تَدْبِيـ ـرٌ بَلِ اللَّهُ المُدَبِّرْ

التناص مع المؤثر الديني واضح من خلال المعاني والألفاظ، وذلك في قوله: (عفو الله أكبر)، و(ليس للإنسان إلا ما قضى الله وقدر)، و(الله المدبر)، فنجد الإعتماد على المعجم القرآني في ألفاظه، والوضوح والسلاسة في عرض أفكاره فهو في منزلة التوبة والدعاء من الخالق، الذي طالما أذنب بحقه ولكنه لم ييأس من عفو الله تعالى.

يتبين مما سبق إن شعراء المجون كان مثلهم الأعلى للشعر هو خلق شعر جميل، وفهموا من جمال الشعر غير ما فهمه الأقدمين في الشعر من الفطرة والقوة في الإبانة والوضوح واعتماد الطبع، فقد وجد المولدون الشعر في الصياغة بعدما اعتقدوا أن المعاني نضبت، وليس المهم إذن شيئاً يقال، وإنما أن يقال هذا الشيء في بيان جميل، وذلك في الزخرف والتنميق في العبارة فأصبحوا يفتشون في العبارات القديمة عن كل جميل يوشحون به شعرهم، ووجدوا في القرآن الكريم، والحديث النبوي والشعر الجاهلي الفنون البيانية من جناس واستعارة وطباق وأخذوها وأدخلوها في أشعارهم[٣٤]، بغية الوصول إلى ما يحقق الجمال الفني فكان إبداعهم هو البحث عن الأسلوب الأدبي الذي يحقق لهم الشهرة، وعبروا عن واقع الحال وما فيه من إختلاف مذهبي وفكري الذي نتج عنه الصراع بين أجناسه المزيجة من شعوب وقبائل مختلفة لها عاداتها ومعتقداتها، وهو الذي أدى بهم إلى خرق لبعض التعاليم الدينية ليسجلوا واقع الحال الذي يعيشه المجتمع عامة والشعراء خاصة.

الخاتمة

حاولت هذه الدراسة التوصل إلى دور المؤثرات الدينية المتمثلة بالقرآن الكريم ومعتقدات الشعوب المنخرطة في المجتمع العباسي في جمالية أشعار مجموعة من شعراء المجون وفق ما تيسر للباحثين من الإطلاع على أعمالهم الإبداعية، وتبين بإن الدراسات القرآنية كانت لها دور في حركة الشعر العباسي وتطورها، بالإضافة إلى أسلوب القرآن الكريم الذي كان حافزاً لشعراء المجون في النظم على منواله، فأكسبهم رقة في الأسلوب وعمقاً في الرؤية الفنية والجمالية، أما الحرية التي فرضتها الحياة الماجنة التي عاشها شعراء المجون بتأثير من البيئة العباسية وما فيها من صراع وتعددية مذهبية وتسامح ديني ألهمت شعراء الدراسة طريق التمرد على الأوضاع القائمة وتسجيل ما يجري في الواقع الاجتماعي من صراعات والجدل فيها عبر استخدام آيات الذكر الحكيم بصورة مغايرة لدعم حجهم فيما يزعمون، بالإضافة إلى دور المؤثر الديني في بعض الأحيان في إيقاظ الروح من غيها وطلب العفو والتوبة من خالقها.

المصادر والمراجع

- أبو نواس قصـــة حياتـه، عبد الرحمن صـــدقي، دار إحياء الكتب العربية، عيســـى البابي الحلبي وشـــركاه، مصر،(د.ط)،(د.ت).
- إتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري، مصطفى هدارة، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٣م.
- أخبار أبي نواس، ملحق الأغاني، أبو فرج الأصـفهاني، تحقيق: علي مهنا وسـمير جابر، دار الفكر للطباعة والنشـر، لبنان، (د.ت) (المصدر المكتبة الشاملة الذهبية).
- تاريخ الأدب العربي، العصر العباسي الأول، شوقي ضيف، دار المعارف، مصر، ط٢، ١٩٧٥م.
- تاريخ الشعر في العصر العباسي، يوسف خليف، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة، ط٢، (د.ت).
- تاريخ النقد الأدبي عند العرب من العصـــر الجاهلي إلى القرن الرابع الهجري، طه أحمد إبراهيم، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، (د.ط)، ١٩٣٧م.
- حديث الأربعاء، طه حسين، دار المعارف، القاهرة، ط١٤، ١٩٩٣م.
- الحضارة العباسية، وليم الخازن، منشورات الجامعة اللبنانية، بيروت، ط٢، ١٩٨٤م.
- حماد عجرد شاعر عباسي: د. نازك سابا يارد، دار الفكر العربي، بيروت، ط١، ٢٠٠١م.
- دور الدين في الإبداع الشعري بين الحضارة الغربية والحضارة الإسلامية، أ. د. سعد دعبس، الناشر مكتبة الإسكندرية للكتاب، مصر، ط١، ٢٠٠٦م.
- ديوان أبي نواس، تح: أحمد عبد المجيد الغزالي، دار الكتاب العربي، بيروت- لبنان، ٢٠١٠م.
- ديوان بشـار بن برد، محمد الطاهر ابن عاشـور، دار سـحنون للنشـر والتوزيع- تونس، دار السـلام للطباعة والنشـر والتوزيع-القاهرة، ط١، ٢٠٠٨م.
- ديوان مطيع بن إياس: جمع وتحقيق: شاكر العاشور، تموز ديموزي، دمشق، ط١، ٢٠٢٢م.
- شجاعة الابداع، روللو ماي، تر: فؤاد كامل، دار سعاد الصباح، الكويت، ط١، ١٩٩٢م.
- الشعرية العربية، أدونيس، دار الآداب، بيروت، ط٣، ٢٠٠٠م.
- طبقات الشعراء، ابن المعتز، تح: عبد الستار أحمد فرج، دار المعارف، مصر، (د.ت).
- في الأدب العباسي الرؤية والفن، عزالدين إسماعيل دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، (د.ط)، ١٩٧٥م.
- في الأدب العباسي الرؤية والفن، عزالدين إسماعيل، دار النهضة العربية، بيروت، (د.ط)، ١٩٧٥م.
- القيم الفنية المستحدثة في الشعر العباسي، توفيق الفيل، مطبوعات الجامعة، ذات السلاسل- الكويت، ١٩٨٤م.
- كتاب الأغاني، لأبي الفرج علي بن الحسـين الأصـفهاني، تح: د. إحسـان عباس، د: ابراهيم السـعافين، أ. بكر عباس، دار صادر – بيروت، (د.ت).
- نفسية أبي نواس، محمد النويهي، الناشر مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٢، ١٩٧٠م.

الهوامش:

(١) الشعرية العربية، أدونيس، دار الآداب، بيروت، ط٣، ٢٠٠٠م: ٥١، ٥٢.
(٢) ديوان أبي نواس: ٤٦٤. مهين: يقصد به إلى قوله تعالى: (من ماء مهين). يحور: يتحول من شيء إلى شيء.
(٣) تاريخ النقد الأدبي عند العرب من العصر الجاهلي إلى القرن الرابع الهجري، طه أحمد إبراهيم، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر،القاهرة، (د.ط)، ١٩٣٧م: ٥١.
(٤) حماد عجرد: ٨٣ فساء: بلدة فارسية. الدهقانة: التاجرة. هميم: دبيب.
(٥) ديوان مطيع بن إياس: ٢٠. البُهْلُول: السيّدُ الجامع لصفات الخير.
(٦) سورة الإنسان: ١٩.
(٧) طبقات الشعراء، ابن المعتز، تح: عبد الستار أحمد فرج، دار المعارف، مصر، (د.ت): ٢٠٧.
(٨) حديث الأربعاء، طه حسين، دار المعارف، القاهرة، ط١٤، ١٩٩٣م: ج٢: ٩٩.
(٩) دور الدين في الإبداع الشعري بين الحضارة الغربية والحضارة الإسلامية، أ. د. سعد دعبس، الناشر مكتبة الإسكندرية للكتاب، مصر، ط١، ٢٠٠٦م: ٢١٩.
(١٠) كتاب الأغاني لأبي الفرج علي بن الحسين الأصفهاني، تح: د. إحسان عباس، د: ابراهيم السعافين، أ. بكر عباس، دار صادر – بيروت، (د.ت): ج١٧: ١١.
(١١) تاريخ الأدب العربي، العصر العباسي الأول شوقي ضيف، دار المعارف، مصر، ط٢، ١٩٧٥م: ١٣٢-١٣٣.
(١٢) في الأدب العباسي الرؤية والفن، عزالدين إسماعيل دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، (د.ط)، ١٩٧٥م: ١٩٤.
(١٣) الحضارة العباسية، وليم الخازن، منشورات الجامعة اللبنانية، بيروت، ط٢، ١٩٨٤م: ٣٢.
(١٤) تاريخ الأدب العربي، العصر العباسي الأول: ٧٩.
(١٥) إتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري مصطفى هدارة، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٣م.: ١٤٥، ١٤٦.
(١٦) أبو نواس قصة حياته، عبد الرحمن صدقي دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه،مصر،(د.ط)،(د.ت): ٢١، ٢٢.
(١٧) ديوان بشار بن برد: ج٤: ١٧٣.
(١٨) ينظر: في الأدب العباسي الرؤية والفن: ٣٤٠، ٣٤١.
(١٩) كتاب الأغاني: ج١٨: ٧٧ . غمى وبنا: قريتان من نواحي بغداد.
(٢٠) ديوان أبي نواس: ٢١٠.
(٢١) طبقات الشعراء، ابن المعتز: ٢٠١.
(٢٢) أخبار أبي نواس، ملحق الأغاني، أبو فرج الأصفهاني، تحقيق: علي مهنا وسمير جابر، دار الفكر للطباعة والنشر، لبنان، (د.ت) (المصدر المكتبة الشاملة الذهبية): مج١: ١٦٦.
(٢٣) نفسية أبي نواس، محمد النويهي، الناشر مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٢، ١٩٧٠م: ١٠٥.
(٢٤) حديث الأربعاء: ج٢: ٣٦.
(٢٥) حماد عجرد: ٥٣. الدلج: السير من أول الليل. القلاص: الإبل الشابة، واحدتها قلوص.
(٢٦) القيم الفنية المستحدثة في العصر العباسي توفيق الفيل، مطبوعات الجامعة، ذات السلاسل- الكويت، ١٩٨٤م: ٣٣١.
(٢٧) ديوان مطيع بن إياس: ٩٠،٩١. القَصْفُ : اللَّهوُ واللعبُ والافتنانُ في الطعام والشراب . عاذري: العذراء الطاهر. الملدان: الأملد، الشاب الناعم. مداهن: من المداراة والاهتمام.
(٢٨) سورة الرحمن: أيات: ١٢ .
(٢٩) ديوان بشار بن برد: ج٤: ٩٢.
(٣٠) ينظر: كتاب الأغاني: ج٣: ١٧١.
(٣١) ديوان بشار بن برد: ج٤: ٥٦.
(٣٢) ينظر: تاريخ الشعر في العصر العباسي، يوسف خليف، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة، ط٢، (د.ت): ٦٤، ٦٥.
(٣٣) ديوان أبي نواس: ٤٦٥.
(٣٤) ينظر: تاريخ النقد الأدبي عند العرب من العصر الجاهلي إلى القرن الرابع الهجري، طه أحمد إبراهيم: ٩٤، ٩٥.